راعي الحرشا

عن قصة الشهيد(*)

الشيخ فهد الأحمد الجابر الصباح

بقلم

د. فاطمة يوسف العلي

(*) تمت الاستعانة بحيثيات الشهيد من كتاب د. نجاة عبدالقادر الجاسم: شهداء الكويت ، بطولاتهم وتضحياتهم ، الجزء الثالث، ص ٥ – ١٠ .

□□□□ □□□□□□.indd 1 12/23/12 9:17:33 AM

فهرسة
مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

813 العلي، فاطمة يوسف.
راعي الحرشا : الشهيد فهد الأحمد الجابر الصباح / فاطمة يوسف العلي .- ط2. - الكويت: مكتب الشهيد، 2013
22 ص ؛ 21 سم.- (بصمات في تاريخ الكويت)
ردمك : 7 - 37 - 84 - 99906 - 978
1 - القصة العربية - الكويت.
2 - الشهيد فهد الأحمد الجابر الصباح.
أ- العنوان. ب- السلسلة

ردمك : 978 - 99906 - 84 - 37 - 7
رقم الإيداع : 2011 / 062

□□□□ □□□□□□.indd 2 12/23/12 9:17:33 AM

«إهـــــداء»

إلى أرضـــي الصغيرة ...

إلى حبي الكبير ...

إلى من يستحق التضيحة والعطاء ...

«إلى الكويت»

مكتب الشهيد

□□□□ □□□□□□.indd 3 12/23/12 9:17:33 AM

بصمات في تاريخ الكويت

إن كانت المعاناة والآلام بما يصاحبها من آمال وكبرياء تتفتح أدباً وشعراً وفناً، فذلك هو حال الحركة الأدبية والثقافية في دولة الكويت التي انتصرت وجدانياً وأدبياً للتطورات السياسية والإجتماعية والإنسانية التي عاشها العالم العربي منذ منتصف القرن الماضي، مروراً بأشهر الاحتلال الصدامي لبلدنا الحبيب الكويت.

سجلت الحركة الأدبية والثقافية في بلدنا ظهور أعداد كبيرة من العمالقة الرواد والمبدعين الكويتيين الذين تركوا بصمات واضحة في مسيرة العلم والثقافة والفكر والفن والأدب، وأجادوا فن الكتابة والتعبير شعراً ونثراً.

في مجموعتنا « **بصمات في تاريخ الكويت** » أراد مكتب الشهيد أن يسجل للتاريخ فورة غضب الكويتيين على المحتل، وإرادة النصر على الغاصب مهما كانت عدته وعديده، والرغبة في الشهادة فداءً للأرض والعرض. فعندما تحقق النصر وطُرد الغزاة حكت اليراعات الكويتية قصص بطولات، ووثّقت معارك شرف وملاحم شرسة، خاضها ضد المحتل، شبان وشابات بصدور عامرة بعشق الكويت وبقلوب مؤمنة بنصر الله.

« **بصمات في تاريخ الكويت** » تضم باقة من أدب النصر على الاحتلال، وصفحات من الكفاح لتحرير الأرض. وهي هديتنا لأبنائنا وإخواننا من هذا الجيل ومن الأجيال القادمة في بلدنا الكويت، وفي كل مكان من هذا العالم، نبراساً لتصدي الحق وانتصاره على الباطل، وشاهداً على حب الوطن وتقديسه، ووفاءً لمن ضحوا بأرواحهم فداءً للكويت.

الوكيل المساعد
المدير العام لمكتب الشهيد
فاطمه أحمد الأمير

□□□□ □□□□□□.indd 4 12/23/12 9:17:33 AM

قال أب الرياضة لرفاقه بنبرة حاسمة :

– اعتقـد أنه بما توصلنـا إليه من نتائج ، يمكن البدء في تنفيذ هـذا المشـروع الضخم ، وتحقيق رمـز رياضي كبير علـى المستوى العربي والدولي.

عقب أحدهم في امتنان :

–مشروع الصرح التذكاري باسم المغفور له الشيخ أحمد الجابر ، سيكون بصمة معمارية عالمية ، وتحفة فنية تتحاكي بها الأجيال ، ونفخر بها جميعا على أرض الكويت .

وعلق الثاني :

– وسيكـون علامة مضيئة لفترة حكم المغفور له ، خلال الفترة مـن ١٩٢١ إلى ١٩٥٠ ، وتخليـدا للذاكرة العطرة في النفوس وعلى أرض الواقع .

حـين ارتـاح الشيـخ فهـد الأحمـد الجابرالصبـاح إلى أن الاجتماعـات المتواصلـة مـع زملائـه ورفاقـه ، من كبـار القيادات الرياضيـة في الكويـت ، قـد أثمرت عن نتائج طيبـة ، ودعهم وهو مطمئـن السريـرة إلى أن ما بذل من أجله الجهد ، سوف يكلل إن شـاء الله بالنجـاح ، وسيكون ما تم التخطيط لـه فاتحة خير على الكويت ، وعلى مكانتها الرياضية بين الدول .

□□□□ □□□□□□.indd 5 12/23/12 9:17:33 AM

كانت الساعة العاشرة والنصف ، ليلة الخميس الأسود ، الثاني من اغسطس ١٩٩٠ ، حين صافح الشيخ فهد الحضور ، متوجها إلى منطقــة الجابرية ، لإنجاز بعض المهام ، ولم يدر بخلده أن يخون الأخ أخاه ، أو أن تغفو الأغنيات التي يؤرقها الوجد على خراب.

كانــت عصافــير الكويــت تعرفــه، تغــرد كل صباح وهــو يهدي النهــار أمــلا وعملا وبسمــة ودّ ، كان جريئا مقداماً ، هماماً حازماً متمتعــاً بالنشــاط والحيوية والمبــادرة والحماس ، يصــادق الزمان والمــكان والأرض والسمــاء ، ويتوضأ بقطرات النــدى على الأغصان فــى الضحى ، ليزداد صلابة على بذل الجهد في خدمة أهله و وطنه ، كان ضحكــة طفــل برئ لم تلوثه الأحــداث ، ونبعا صافيا لا حتواء الحلم في الصدور.

روح متهافتــة للرحيل ، بدت في سواد اليل قمرا منيرا ، ونبراسا هاديــا ، تحمــل ملامح وجــه المدائن الحزينة ، والشــوارع والميادين الأســيرة ، والأزقة والطــرق المقيدة ، تحمل حقيبة السفر البعيد ، و تفرد أنامل الفؤاد لتمسح دمعة في الطريق إلى السقوط .

لكن لا دمع على شهيد ، كان يتمنى الشهادة على أرضه العربية ، من المحيط الى الخليج ، تلك التي كان يعطرها بجهد وبذل وبعطاء ، ويمنحها شرفة في القلب و الوجدان ، لترتاح وقت التعب ، وبلة ريق طازجــة ، مــن الماء والثلج والبرد ، لتروي ظلمــأ الطريق . وطلة عين

□□□□ □□□□□□.indd 6 12/23/12 9:17:33 AM

حانية ، من العشق والصّب والوله ، والآن يعطرها بالدم .

دار عقــرب الساعــات على مهل ، يخطو برفـق وتؤدة وهوادة ، مستجـيرا بالوجع الــذي سينقض على الأرضـ المغتصبة ، ويسرق حياتها من جديد.

تهاوى عقرب الدقائق في مفترق الطرق ، تناثرت بين يديه غيوم كالشظايــا غطت عيون الشمس التــي كانت في طريقها للخروج من براثن الليل المهيب .

وتوقــف عقرب الثواني عند الساعة الخامسة صباحا ، إشارة للحيــاة بأسرها أن تتوقــف عن الحركة ، عن النبض ، وكيف يمكن للحياة أن تتوقف عن الحياة؟

طلقة الغدر اخترقت الهواء ، معلنة الاجتياح الصدامي الغادر ، واستقــرت في مكانهــا على كرسي الحافلة ، علــى أرض الكويت ، التي ظللت أشقاءها بكل الخير والعطاء ، وخصت العراق من بينهم ، بتمر و حليب ، ولم تبخل عليها بأي غال.

هــي عراق صــدام ، الآن يجبرهــا على الرحيــل ، مودعة زمن الهــدوء وأوقــات السكينــة ، لبلــد صغــير مسالم ، وأناســ طيبين مسالمين ، وهبوا الحياة أمدا من ضياء وبركة من ألق .

□□□□ □□□□□□.indd 7 12/23/12 9:17:33 AM

تلقى الشيخ فهد الأحمد اتصالا هاتفيا من صديق يخبره بالعدوان العراقي الغاشم ، وما كنت يا صدام سوى الغاوي الذي غوى والشقيق الذي خان ، تذكر حين سأله الدكتور بدر حمادة :

-هل يقدم صدام حسين على احتلال الكويت ؟.

أجاب وقلبه يعانق الكرم ، ويفتح عينيه على النهر الفتي :

- لا أعتقد يفعلها بإخوانه.

عقب الدكتور بدر وقلبه مفطور على وجع الرمال

-اشك في ذلك .

دغدغ الخبر الشيخ فهد ، وعصر نفسه الطاهرة بالألم ، تلك النفس التي لم يكن بها ذرة شك في أن يقدم الشقيق على خيانة شقيقه ، أو يدوس على ابن العم ، كانت النجوم تضئ منافيها بملء العين ، وكان هو المؤمن بالعروبة والساعي لنصرة العراق والقضية الفلسطينية ، مترجما إيمانه بالموقف والدور والمشاركة.

يشهد له عش النورس في سيناء ضد العدوان الإسرائيلي عام ١٩٦٧ ، حين حماه من أن ينتهك ،ويشهد له جنوب لبنان ، حين حماه من أن يشتهيه الموت ، فينام قرير العين وسط الغياب كما ساند العراق في حربه ضد إيران ، منقذا شرفاتها البعيدة المضيئة ، من أن يطويها الظلام . وكان ثمة حلم يطأ المسافة بين اليل والنهار.

□□□□ □□□□□□.indd 8 12/23/12 9:17:33 AM

كـم واجـه المصاعب مـن أجل أمتـه ، متمسـكا بتواضع جم ، متصفا برجولة نادرة ، غامر بها في المعترك ، فاصيب بعدة طلقات في معركـة الكرامة، وحصـل على وسام من الرئيس الراحل جمال عبدالناصر ، وحين أرادوا للشرق أن يبكي ، ولأرضه العربية أن تهان ، كان الخيل خيله والسيف سيفه في الميدان.

حـين علم الشيخ فهـد بالخبر الحزين ، تاقت نفسه من جديد إلى الشهادة ، وكم تمنى أن يموت شهيدا فداء للوطن الحبيب ، فهو الفدائي الذي ما كان له إلا أن يتقدم الصفوف ، وانضم إلى جحافل الفدائيين ، فى الأعوام ١٩٦٨ و ١٩٦٩ و ١٩٧٠ ، وأصيب في أنحاء متفرقـة من جسده ، وهو الفؤاد المفعم بالشوق إلى الوحدة العربية ، ليرى عيونا تحتفي بالوصايا العشر عند أذان الفجر.

كان قصـر دسمـان هو الهـدف ، وإحكام السيطـرة عليه أولى المهـام ، اشتبكـت قـوات الحرس الأميري مـع القـوات العراقيه المعتدية والغازية ، فحالت دون وصولها إلى حدود القصر ، ولم تجد بعض المجموعات الصغيرة من قوات العدو الغادرة ، بديلا سوى السيطـرة على بعض المنشآت الصغـيرة المتفرقة ، والمباني المجاورة للقصـر ، وبدأت الأحرف تفر مـن أسمائها والكلمات من معانيها ، وأصبحت الخيانة بديلاً للأخوة وقاعدة للعمل .

الليـل على أبواب المدينـة يجثم فوق الصـدور النقية ، التي لم تعـرف كيف تخون ولم تتعلم كيف تغدر ، فغاب عند المفارق العنوان ، ودارت عمليـات القصـف وأعمال القنص ، مستندة إلى تعزيزات مستمـرة ودائمة ، من عـدو أراد ان يفرش ظله القاتم على أنفاس

□□□□ □□□□□□.indd 9 12/23/12 9:17:33 AM

الحياة الهادئة ، مدعمة بقوات بحرية من زوارق الطوربيد ، وزوارق الصواريخ وتمكنت من حصار المنطقة.

ومـرت اللحظات بطيئـة كأنها تسير إلى جحيـم الانتقام ، حتى وصلت التعزيزات العسكرية الكويتية من معسكر لواء الحرس الأميري ، وسرية من الحرس الوطني ، والقوات الخاصة من وزارة الداخلية ، لتحمي القصر ومن فيه وتعيد الكبرياء الجريح والعنق الذبيح .

وببسالـة فدائيـة، أعـادت التعزيزات الكويتيـة العسكرية ، إلى النهار الطالع من بطن النيران ، يخاتل الأحزان ويبكي عند الغياب، أول خيوط لضوء يستمد قوته من شرعة المخلصين المنتمين إلى وجه الكويت الأبي ، الشامخ والرافض أن يذوب .

تمكنت القوات الوطنية من فك الحصار ، وقتل وأسر الكثير من قـوات العدو ، لكن لم يكن هناك فوق الشرفة البيضاء عصفور يغرد بالأغنيات ، ويغنى بعبير الكويت حين تهب نسائمها على الجبين .

كان هنـاك أشـداء في المحنـة رحماء بينهم ، يلملمـون الهم من الطرقـات ، كان هنـاك رجال تمكنوا بهمة وصـبر وبعون العادل في السمـاء جـل جلاله ، من إخراج أفـراد الأسرة الحاكمة من القصر ، بسرعة البرق ، واللحظات تميل حيث تميل ، والأمنيات يؤرقها غيمة في الأفق .

□□□□ □□□□□□.indd 10 12/23/12 9:17:33 AM

أفضــت الكويت دمعها وبكى الفؤاد ، مطت شطر كفها المطعون ، تفتــح للجــرح متــكأ في الروح ، والألم رقادا مــن زمن عصي ، وفي الساعــة السادسة بدأت القــوات المعتدية تتقدم أكــثر نحو القصر مــن جهة السفــارة البريطانية، تطلق عاصفة مــن نحيب ، لاقتلاع قلــب يبدي بهــاءه وحسن مائــه في العيون ، لكن القــوات الكويتية الباسلــة التى كانت تدافــع عن أرضها وعرضهــا وشرفها ، تمكنت مــن التصدي لها ، والحفاظ علــى دمها الزكي، و أن تبادلها بألف عاصفة هزت رشيد بغداد، ألف هزة من وجع .

طلب الشيخ فهد الأحمد من صديقه الذي أخبره بالنبأ الحزين ، أن يأتــى إليــه ليذهبــا معا إلى قصــر دسمان ، وسرعــان ما أتى الصديق إليه برفقة صديق ثالث ، وتوجهوا إلى القصر ..

خــلال الطريق حاول الشيخ فهــد أن يجري اتصالا بالقصر ، لكن محاولاته فشلت لانشغال الخطوط الهاتفية ولأنه لم يكن نجما بين النجوم التى انضوت إلى الانسحاب شيئا فشيئا ، أو نبيا تخلى عنــه أهله فقد وضع رشاشه تحت المعقد ، وأخفى صديقه سلاحه في المعقــد الخلفي ، وحــين استقرت السيــارة في خطواتها الأخيرة نحــو اللهيب ، تحسس الشيخ فهد رشاشه وحماسه . واطمئن إلى أن الرشاش على أهبة الاستعداد ، وإلى أن الحماس اشتعل صهيلا وغضبــا ، ونبتت حبات العرق فوق الجبــين ، تنشد تراتيل المشتهي للتضحية والفداء.

□□□□ □□□□□□.indd 11 12/23/12 9:17:33 AM

كان الشيــخ فهد يتمنــى الشهادة حقا وصدقــا ، يهفو إلى سماء الخلــد، حــين يفدي وطنــه بدمه الطاهــر ، ويقذف الغــدر كل ليلة بحجــر، محتفيا بالقمر والشــوق والامتنان ، وبجــوار شرفة الوطن، يبنــي عشا، ويزرع شجــرة ، ويقف راكبا خيله رافعا سيفه للذود عن فؤاد يرضع الأرض هديلا ، ويطلق العصافير في السماء نورا، ولا ينام في تجاعيد الزمن ، أو يتخلى عن حلم الحضور والنجاح.

إنــه ابــن الكويت ، الأخضر الباني، سحابــة الصيف التي تحمل النــدى، وردة الربيع، إنه الحر النظيف الرياضي الذي جند جل وقته لتدعيم الحركة الرياضية في الكويت ، ولم يشغله اهتمامه بالرياضة عــن القيام بــدوره النضالي القومي ، إنه المفطــور على حب النجاح والسعــي إليــه ، ومن أجله ، تبوأ الكثير من المناصب الحساسه ، على الصعيــد العربي والدولي ، وحين مس الشوق أحلامه في قلب الوطن المجروح ، كان يوشوش الندى بالأشجان.

عندمــا اقتربــت السيارة مــن المدخل الرئيســي للقصر، توقفت بالقلــب العنيــد جهة الدوار ، لكن القلب العنيد ما كان له أن يتوقف فبادره أحد الضباط من الأصدقاء برتبة نقيب قائلا:

- لماذا جئت؟

□□□□ □□□□□□.indd 12 12/23/12 9:17:33 AM

كان السـؤال مهمومـا بالسياج المتعثر في كبـد الغياب ، سؤال موجـه لمـن لبى نداء الواجب والفداء ، لمـن بات مثل الضياء الذي ينشـر أشعتـه ، ويحدق في ليل المحن، فيطويـه كطي السجل للكتب و أجاب :

-ماذا يحدث؟ .

مـن يطـأ المسافة بين الـروح وجناح الريح، يملـك أن يخفي أشواك الغدر، خلف الموانئ على حافة البحر ، ومن يهيم على وجهه، يرخـي شـراع الحلم بلا ضمير ماذا يحـدث؟، أطلق سهم السؤال في صـدر الزحـام ، ماذا فعـل صدام حسـين بإخوانـه ، وأشقائه وأبنـاء عمومتـه ؟ ، هل بادر صدام بغزو الكويـت وسرقة أرضها وخيرها، تصديقا لما قاله ذات يوم، العناق يطول إلى ربوة من سفائن الوصول؟

تذكـر الشيـخ فهد جيدا، في هذا اليوم، قـال له صدام حسين بعيـون تؤرق اليمام حين يطـير ، وقال لصديق كان برفقته ، وهو ينثر ضحكة عند فوهة البندقية:

- قـل لأي مواطن كويتي إن الخبز الذى يأكله الجندي العراقي نصفـه حتما من خـير الكويت. سقطت نفسه في غياهب الدهشة ، ترتدي المرارة ثوبا من شقاء، والطمأنينة ذنب يستحق الثأر والبلاء ، والخيل طريدة شريدة ، متسائلا كمن نام على شوك وقلق :

□□□□ □□□□□□.indd 13 12/23/12 9:17:33 AM

- أيـن الآن مـن جاء من بطن الجوع والعطش ؟ ، أين الجندي العراقـي الـذي أكل خبزا من خير الكويت ؟ ، إنـه الآن يقف شاهرا سلاحه في وجه من مدوا إليه اليد بالطعام والشراب ، وكحلوا عيونه بالأغنيات ، ووسدوه صبابة القلب ، ومضوا بلا مقابل ، إنه الآن يرد الجميل بالخنجر المسموم ، والطعنة الغادرة في الظهر .

اقترب المعتدون العراقيون من سيارة الشيخ فهد الأحمد وطالبه آمرهم بالنزول ، فمد يده والتقط سلاحه ، فتح باب السيارة وقرر في استبسـال وشجاعة أن ينتقم لوجه الوطن ، لكن رصاصات الغدر والخيانـه انهالـت عليه، وبادارته مـن جهة الـدوار ، وشقت الأعيرة النارية سماحة الفؤاد الغض النابض بحب الكويت نصفين ، ليمضي النصـف الأول وحيـدا في السفر والترحال ، والثـاني يروي للمدائن قصة الذكرى، التي لم تنطو إلا على جرح من شقيق .

اخترقـت الطلقات زجـاج السيارة وتناثرت مـن حوله وأصابت رأسه ، فصرخ من حلم يسقط في المغيب وأنشودة أوقفتها الرياح عند باب الوطن قبل الاكتمال.

إنه الوطن الذي كان ينام قريرا في العيون ، يهددونه الآن بالسلب والنهـب والوجـع ، إنهـا الأرض التي تضـم بين جناحيهـا الحقائب والنوارس والأرصفة والعابرين ، لماذا يريدون تحويلها إلى خراب ؟

خرجـت آهة الشيـخ فهد تستجير من غيمـة لم تنتحب إلا على

□□□□ □□□□□□.indd 14 12/23/12 9:17:33 AM

أشــلاء ، تبعثرت كرمل الصحــاري في العاصفة، وسقط رأسه إلى الخلــف ، وعيناه معلقتان بزحام على البعد من الكويتيين والوافدين العرب قام المغتصبون بأسرهم، وقبل أن تغلق عيناه رمقاها الأخير، رآهم ينقلونهم باتجاه السفارة البريطانية.

في تلك اللحظات تمكن صديق الشيخ من النزول من السيارة، ونجا بالاحتماء ، ونزل الصديق الثاني وجلس عند النقيب، وكانت دشداشتــه ملطخــة بالدماء الزكيــة ، دماء الشهيــد ، دماء من زرع قلبه ، ألف سنبلة للوطن المستباح ، يتقي بها غدر الخائنين ، وسارع النقيب بإعطاء سلاحه لهذا الصديق وقال له:

أنت الغطاء وأنت الساتر .

توجه النقيب بسرعة نحو السيارة لانقاذ الشيخ الممدد بجوارها على الأرض، يناجي رب العدل والإنصاف . محاولا إسعافه قبل أن تنتقل روحه إلى بارئها ، وتحريك السيارة من موضعها ، لكن القدر كان أسبــق ، وحاصرت القــوات العسكرية العراقية المعتدية المكان ، تحــت مظلــة من كثافة الرمي ، والطلقات الغــادرة ، مما حال دون تحريك السيارة قيد أنملة ، أو إسعاف الشيخ .

وقبــل أن يســرق المغتصبون خيط النهار الأخــير ، ازداد هجوم القــوات الكويتيــة الباسلــة ، ضد قوات البغي والعــدوان ، فاضطر المعتــدون إلى الانسحــاب والتراجع ، مما مكــن النقيب من العودة

□□□□ □□□□□□.indd 15 12/23/12 9:17:33 AM

إلى مكانه بالقرب من بوابة القصر ، وفكر بجدية وحماس ، في تكرار المحاولة ، وعندما اقترب منه سمع شخير الروح الطاهرة ، لكن سرعان ما انقطع الصوت ، وكانت يد السارق الغادر المجنون أسرع ، فأسروه عند الساعة التاسعة .

الآن تنشد الملائكة تراتيل الشهد ، تشيعه اليمامات الوليدة حتى مثواه بالجنة وتحيطه بنظرات الحنين، وتنثر فوقه خيوطا من حرير، وتعطره بماء الورد ، والوطن في يوم طويل مطير، يقف على عتبة الغواية ، وسنابك الخيل مشرعة كالفراشات لهبات الكسير ، ونجدة الطير والأيائل والفصول.

اجتهد الشبان الكويتيون العسكريون الذين كانوا بالقصر، وحملوا جثمان الشهيد في التاسعة والنصف إلى العيادة ، وجرت محاولات إسعافه ، وإيقاف النزيف الذي كان كسيل ينطلق من الرأس ، لكن دون جدوى ، وما كان فرط الغياب يستجدي الحضور أو الرجوع .

بعد ما يقرب من الساعة ، كان الجثمان خلالها داخل العيادة ، ملفوف الرأس، وكانت الرأس تترف بالشتات ، حين سرقوا منها النهار ، وتترف بالدم حين اقتاتوا منها ليلة الميلاد ، وبالوداع حين تهافتوا على حلمها المرمري ، وما بين الساعة العاشرة والنصف والحادية عشرة ، تمكن المخلصون من أبناء الوطن الجريح من نقل الجثمان إلى المستشفى الأميري ، ووضعوه في ثلاجة المستشفى ،

□□□□ □□□□□□.indd 16 12/23/12 9:17:34 AM

مغطى الجسد مكشوف الرأس ، وكان الدم يسيل منه في إباء معلنا أنه لن يستسلم .

استمـرت قوات الحرس الأميري في الدفاع عن قصر دسمان حتى العصر ، واستبسل أفراد القوات في الدفاع عنه رغم تعزيزات العـدو لقواتـه بقوات مدرعة آلية ، أحكمـت محاصرة القصر بعدة عمليـات إنـزال بحري من الساحـل القريب وعمليـات إنزال جوي وظل الحصار حتى اليوم الثاني٣ أغسطس ، لكن ببسالة الشجعان تمكنت مجموعـة من العسكرين وغيرهم ممـن كانوا داخل القصر مـن النجاة ، والخروج سالمين يحملون حلمهم ، الذي مزقته أجراس الخطر.

كان الرجـاء والأمـل في التحريـر يمـلأ الصدور التـي اتسعت بالمـدى، وحملت داخلها مدينة مـن دعاء ، يحمي أروقة الدروب من الخـواء ، ويفتـح في السماء نافذة ، لتخرج شمس النهار منها عفية تغني بالنصر ، وظل الجثمان بالمستشفى حتى الأسبوع الثالث من أغطسـ ، وبالتحديد يوم ٢١، بتعليمات مـن الشيخة أمثال الجابر، حتـى يمكـن بعـد التحرير تشييـع الشهيد بجنازة تليـق بمن ألقى بمفتـاح الضيـاء ، بعد الرحيل في عمق جب ، لكن الحصار كان لا يزال حصارا ، والشتاء كان يكشف عن غدر جديد.

□□□□ □□□□□□.indd 17 12/23/12 9:17:34 AM

في ذلك اليوم ، حضر إلى المستشفى أحد ضباط جيش المعتدين الغادريـن ، يحمـل فوق كتفه شارة برتبة عقيـد وقال لطارق الشطي الذي يعمل في قسم العلاقات العامة بالمستشفى الأميري:

إنني قادم للتو من اجتماع بوزارة الصحة، وعلمت بوجود جثمان لأحـد الكويتيين بالمستشفى ، ويدعى أب الرياضة الكويتية، أين هو؟ يقولـون إنـه كان يضع نصب عينيه فرحة الطفـل الوليد، وفي فؤاده فرحـة الشباب اليافـع، وفي صدره فرحة الشيـخ العجوز، وفي عقله ووجدانـه فرحة الوطن، نريد جثمان هـذا الوطني، لعلنا نوقظه من سباته العميق ؟

ملأ الضابط شدقيه بضحكة ساخرة ، ما تربت لها يداه الملطخة بـدم الغـدر والخيانة ، مخلفا وراءهـا رذاذا من ضجيـج، وطينا من حقد، وأثر قدم وطأت سحابة من توت ، فانفرط عقدها المتماسك.

أنكـر طـارق الشطي وجود شخص بهذا الاسـم ، ووجود جثمان بهـذه المواصفـات ، خوفا على الشهيد مـن أن يمثلوا به ، بلا رحمة، فالخونة المعتدون السارقون ضوء النهار من العيون، هم دائما الخونة المباغتـون، والمعتدون الظالمون، والسارقون الروح من الوطن ، والفرح من باب الربيع، فأشاح الضابط بيده محذرا :

-إيـاك أن يتـم العثور على هذا الجثمان داخـل المستشفى هنا، سيكون آخر يوم في حياتك، ويمكنك الآن أن تنقذ نفسك من العذاب

□□□□ □□□□□□.indd 18 12/23/12 9:17:34 AM

والموت، بتسليم هذا الفدائي الكبير.

بمجرد أن رحل الضابط تشاور طارق الشطي مع بعض المخلصين لـذرات الوطـن من زملائه بالمستشفى في أمـر نقل الجثمان، حتى يضمنوا حمايته من الوقوع في يد الأعداء، الذين استهدفوا قتله منذ البداية، وهاهم يبحثون عنه اليوم، ليمثلو بجثمانه الطاهر،

إن اليد التي تعودت على أن تمتد بالخير والعطاء إلى الآخرين، لا تملـك أن تتخلـى أو تغيب، والـروح التى تعـودت على الإخلاص والانتماء لا يمكن أن تخون ، فاتفقوا على ضرورة نقل الجثمان إلى المطبـخ المركزي حيـث الثلاجات الكبيرة التي تسع جذع نخلة ولود، أرادوا لها أن تصير عقيما.

نظم طارق الشطي العمل مع زملائه في سرية تامة ، وطلب من العمـال الذين كانوا يعملون في المطبخ الذهاب إلى المكتب للإجتماع بهـم، وأغلق البـاب، وتم تفريغ ثلاجة الألبان تماما، وحمل الجثمان بمعاونـة زميله صالح أمان، الذي كان اسمـا على مسمى كان أمينا يحفظ السر، ويروي ظمأ الوطن بقطرات البقاء.

لم يكـن للنجـم في الأفق أن يخفـت ضوءه، ولم يكـن للقمر أن يسقـط بوجهـه المشوب بالأسى، لكن كانـت البوابات جميعها تحت سيطـرة جنود العدو، مما شكل صعوبـة بالغة في نقل الجثمان إلى

□□□□ □□□□□□.indd 19 12/23/12 9:17:34 AM

المطبخ ، ووضعه في ثلاجة الألبان.

واضطر الزميلان إلى الخروج أولا إلى موقف السيارات، والعودة منه إلى المطبخ. ونجحت الخطة، وترجل البطلان على خيوط العنكبوت ، في ليلة أشبه بقداسة الإسراء ، وصبابة السنين، وبالدرب الطويل، وبالسفر الليلي المرير، وبالقلب الظامئ إلى الرواء، ونقلا الجثمان، واستقر بهدوء في ثلاجة الألبان، لينجو من براثن عدو يجيد تنظيم جحافل الحزن والعتمة .

أغلق الزميلان الباب وأخذا مفتاح الثلاجة، ثم أخرجا العمال من غرفة المكتب معلنين تأجيل الاجتماع لظروف طارئة، وأسرع طارق الشطي بإبلاغ مدير المستشفى:

– يا دكتور عهدي ، إنه جثمان الشيخ فهد الأحمد، جثمان الغالي على الكويت وأهلها ، جثمان من نفديه بأرواحنا ، جثمان من علمنا النشاط والحركة وأوثق الروابط بيننا وبين الانتصارات الرياضية طوال عهده بنا .

سأل الدكتور عهدي الغانم :

– وهل نجحتم في نقله بأمان ؟

□□□□ □□□□□□.indd 20 12/23/12 9:17:34 AM

قال طارق الشطي بثقة الواثق من نجاح عمله :

-الحمد لله نجحنا في نقل الجثمان وحمايته ، ولم يكن أمامنا سوى هذه الطريقة ، لإخفائه من أيدي الطغاة ، والجثمان الآن في ثلاجة الألبان ، ولا يعرف أحد هذا السر ، حتى العاملين في الثلاجة ذاتها .

عقب الدكتور الغانم :

- من الضروري أن أخبر الشيخة أمثال الجابر.

ثم أضاف في وجل :

-هؤلاء البغاة ليس لهم أمان ، يجب أن يتم إخراج الجثمان من المستشفى اليوم، خوفا عليه، خاصة وأن الضابط العراقي عندما تحدث إليك، أكد معرفته ويقينه بأن الجثمان لا يزال داخل المستشفى .

للوطن من يمدون ضلوعهم لحظة الخوف جسورا عبر النهار ، وللوطن من يجعلون من سواعدهم وقت الخطر معبرا نحو البقاء ويضمدون جراحه بحليب الدموع وهم يتوجعون من الألم هؤلاء الأبطال الذين يأتيهم الطعام ، فيؤثرون الوطن على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، والشمس تفتح في عيون المشارق أرصفة جديدة للعابرين إلى الصباحان والطرقات والنايات والأنات والنغم

□□□□ □□□□□□.indd 21 12/23/12 9:17:34 AM

استقـر الـرأي على نقـل الجثمان في اليوم نفسـه ، و من عاش تباركـه قبلـة الوطن على الجبين ، وتصاحبـه العيون الناعسات من المـدن ، لـن يكون وحيـدا ، لن يكـون مسافرا أو راحـلا ولن تحرقه الأمنيات ، ولن يمضي كما تمضي أسراب الحمام .

وكمـا اختار الشيخ الشهيـد في حياته الأصدقاء اختار الجثمان صاحبـه، وكان هـو جثمـان الشهيد عبد اللطيف الحمـدان ، الذي كان قـد نقـل إلى المستشفى في الوقت نفسه ، ولم يتم التعرف عليه لعدم وجود ما يدل على هويته ، لكن بعد التبصيم والتصوير ، كشف الغائـب عـن حضـوره ، وطاوع الضـوء الممدد في حدقـات العيون ، وأسلم ملامح الوداع الأخير ، في عيون الوطن ، مشرعا تلاقيا بلون بنفسجة ذوت ، ودم يأبي أن يراق.

قـام أفراد المستشفى بنقل الجثمانين معـا إلى سيارة الإسعاف التـي نقلتهمـا إلى مقبرة الرقـة ، حيث تم الدفـن في اليوم نفسه ، ونـادي الأنين وترا لم ينسدل، إلا على جناحين من هواء ، ولم يعانق إلا مفارقا كالنسيم في ضحى الأكوان.

اللّه يـا من تركـب إليك الأشواق نفسها ذليلـة ، وقلبا كسيرا ، وجبهة محنية ، ندعوك يا اللّه، ما من دموع للفراق وللعراق ، والوطن يحمل في صدره غصة ، وفي أنفاسه الغبار ، ناقوسه بالطعنة الغادرة لا يـزال يـدوي ، وصدى ريحـه يهز شجيرات جرحنـا المصلوب فوق العاصفة .

□□□□ □□□□□□.indd 22 12/23/12 9:17:34 AM